في آب ، وسط الصحراء يصبح الخزان فرنا حقيقيا . فبعد نقطة الحدود الاولى التي خرجوا منها سالمين ، لم يتكلم أحد منهم . خرجـوا ليستنشقوا الهواء ، وليحـاولوا استعادة قدرتهم على متابعة الرحلة . في الخارج ، وبعد ست دقائق فقط من المكوث داخل الخزان ، كان حوارهم مستحيلا . اما في نقطة الحدود الثانية ، وبعد الارهاق الذي عانوه ، فان حوارهم في الداخل ، كان هو الآخر مستحيلا . داخل هذه الدرجة المرتفعة من الحرارة ، لم يكن باستطاعتهم الحوار . كان كل منهم يلهث بصوت مرتفع ، محاولا الحصول على اكبر كمية ممكنة من الهواء . الظلام الحاد ، يعطي لوجودهم معنى الصمت فقط . بين أن تغمض عينيك أو تفتحها هناك مسافة الارادة ، لكن الارادة كانت معلقة على طرف الخزان . متى يأتي الرجل ويفتح الباب ؟ متى تتحرك السيارة ؟ لم يكن مروان يتكلم أو يحلم . كان ينتظر فقط . حتى الزمن أصبح لحظات . ابتدأ بالعد من واحد الى ستين ثم تلاشى تدريجيا . الحوار المستحيل ، يخنق الذاكرة ، والحلم . كيف تحلم . الحلم الوحيد الممكن كان لحظة دخل الثلاثة في غيبوبة الموت . هنا لم يعد للحلم من مبرر . مبرر الحلم هو كسر الموت ، محاولة الافلات من قبضته . الصمت الذي يحترق على ايقاع اللهاث المرتفع ، جعل المسافة بينهم تتسع ، ولم يسمح للحركة . بين المخيم وخزان السيارة ، كانت المسافة تكبر كلما اقترب الموت . وكان العرق الذي ينزف على الاجساد لزجا وحادا في البداية ، ثم أصبح حقل النجـاة الوحيد . انه الرطوبة الوحيدة التي تأتي الى هذا الفرن وتساعد على احتماله . ثم تلاشت الاجساد . ولم يصل أبا قيس ، لم يفكر بزوجته . لم يصرخ . كان ينتظر الموت . أما أسعد فقد تمسك بالعارضة حتى لا يسقط . فسقط على العارضة . وخفت اللهاث ، لم يرتفع صوت وكان الهرب الفردي موتا مجانيا وبلا جمال . يرتفع فيه انين الاحتضار الذي يخنـق التمرد .

المبرر الوحيد لتحويل لحظات البقاء في الخزان من جمودها هذا ، هو ارادة كسر جدار الخزان . ربما كانت الارادة وحدها لا تكفي ، فليس مؤكـدا ان ابا الخيزران ورجال الحدود ، كانوا سيسمعون القرع على الجدار . فهم في الداخل . لكن عـدم التحرك باتجاه جدار الخزان يعني أحد احتمالين :

فقدان الزمن ، فالزمن يتحول هنا الى مجرد تتابع ساكن للحظات تتتابع دون ان تتحرك . ترصف الى جانب بعضها دون قدرتها على التداخل . انه زمن الظلام الشامل الذي لا يستطيع ان يقدم امكانيات التحول او التغير . من هنا لا معنى للزمـن الذي يعيشونه . انه زمن مائع ، تتحرك فيه الاجساد بعناصرها الطبيعية فقط ، بالعرق الذي ينزف على الجسد .

فقدان الذاكرة ، الذاكرة هي البعد الذي يمتد الى الماضي في محاولة ادراجه داخل الحاضر . الارادة تتعطل . قرار الهرب الى الكويت هو استجماع كامل للحظات حياة تتشابك لتشكل في مستواها الفردي تلخيصا لعلاقات اجتماعية . لذلك فحين يستحيل الحوار ، ويتوقف الزمن ، تتعطل الذاكرة بالضرورة . تتحول عن الحاضر وعن ازمنة الفعل الثلاثة وتترسب في انتظار يخترقه لهاث العجز من جميع الجهات .

الواقع ان العلاقة بين الاحتمالين هي علاقة جدل ، فوجود احدهما يعني بالضرورة وجود الآخر . لذلك فانهما حين يغيبان عن مسرح الخزان ، يغيب الابطال عنه ، ويصبح الرجال الثلاثة مجرد هياكل لرجال لم يولدوا بعد . من هنا لا معنى للبحث عن الجدل الداخلي الذي يختزنه الخزان . فقبل الولادة ، او حين لا تأتي الولادة ، فان الجنين